وهى الهمزة الخالفة لجميع هذه الحروف التى هى ذوات الحركة فحقها
تحير فيها يا أخى وحق سيدى الناس العقلا اذ اكانت ذات
الحركة ظهرت فى ذات السكون ولذلك قيل فى العلة الأولى انها
فاعلة لا بحركة وانما تحرك الاشيا اليها بحركة ولانها اشبه الاشيا
بالشئ الساكن المتحرك الى امثاله هذه الاقوال فاعلم ذلك وفتش
عليه وتبين الغرض فيه تجد غرضا شريفا واذا كانت هذه حاله
على الألف الساكنة تحتاج ان نقول فى سبب سكونها فانها
يا أخى سبب الفايدة العظيمة التى بها يتحقق امرها وكيف
استحقت كلا الصنعتين واستوجبت الصفتين كلا الامرين
واجتمع لها كلا الضدين من هذه الأمور المتضادة فأقول ان
الهمزة للطافتها لما كانت ذات الحركة وكانت عالية على الأشخاص
فاعلة للمواد والصور مجردة من جملة الكل شايعة سايحة
فيه بالقدرة والتأثير والتدبير ثم انها لما ساحت فى الكل لم تجز
ان تعطى شيأ الا بقدر استحقاقه واحتماله ولا ان تظهر فى شئ
الا بحسب طاقة ذلك الشئ واحتماله وظهورها فيه وهى وان
ساحت على هذه الجملة كلها فانها فيها وليست فيها اذ كان
لا يلزمها من احكامها شئ ولا من احكام سواها من الذوات
والاحوال والاجناس التسعة فلما انتهت الى المركز ظهرت فيه
بحسب صورته فكانت فيه ساكنة اذ كان لا احتمال له للحركة راسا
فلما ظهرت فيه بهذه الصورة وقع الشك من الظلمانيين فيها
بحسب تحيرهم وغلبة الظلمة على انوارهم واما النورانيين
فانهم لما رأوها على ما هى عليه لم يبد واحالها ابدا ليلا يعمله الاشقيا
اهل العقوبة فنزيد بذلك اجرامهم لأنهم حينئذ كانوا اذا تصوروا
بهذه الصور بتلك النفوس الصدية التى قد ركبتها الظلم حسنت
عندهم وعظمت لديهم وكان هذا اعظم جرم واكبر ذنب وكان

ما فى كتب الحكما المتقدمين من تعظيم الاجرام العالية ووجود تاثيراتها
فى العالم السفلى فقالوا ان هذا النور الأعلى لا يمكننا الوصول
اليه وصند نا منسبته ونوعه وهى النار منها تقبس انوار العالم السفلى
واضواهم وبها يكون غذاؤهم وتدبير معايشهم ولا غنى لكل المولدات
العنصرية عنها لا سيما ووجد واتقطيمها فى كتب القوم فى الصنعة
باللغة الفارسية فاجتمعوا على تعظيمها وعبادتها وتقديسها
فتا ولوا غير الحق فضلوا والحمد لله على ما خصنا به من الهداية
ومع هذا فانه أورد هذا الكلام ونظن الناظر ان لا تعلق له بالعمل
الأول المكتوم والحق بخلاف ذلك لأن العمل الأول المكتوم مشتمل
على معرفة الأصول الطبيعية المتولد عنها هذين الأصلين
اللذين هما النور والظلمة فان نور الجر نور وهواه وبان وظلمته
فى أرضه فانظر الى الجزء اليسير من الظلمة كيف حصل الضلال
بواسطة واظلمت به انوار العقول والنفوس والأرواح فى
الاجساد المظلمة فعدم النفع بها وارتكست بعد علوها فالعمل
الأول المكتوم مشتمل على تدبير الارض بالما والما بالنار وقد تكلم
الامام جابر رحمه الله فى معنى ذلك فى كتابه المسمى بالاحراق من
الخمسمائة وسنذكر لك من الدليل من قوله فيه على ما نحن بصدد
شرحه ان شا الله تعالى قال ويجب ان نقول فى الاحراق
قولا جامعا مختصرا لايقا بهذه الكتب العظيم وقدرها فأقول
ان اسم الاحراق نور انى كله الا الالف فانها معدودة فى بعض
الأقوال من الحروف الظلمانية لكنها فى هذا القول من
نورانية الظلمانية وفى قوله آخرا انها نورانية ولكنها من ظلمة
النورانية وانما وقع هذا الاشكال والشك فى هذه الالف
الساكنة خاصة لأن مادتها مادة الظلمة اذ كانت من طبيعة
الأرض وصورتها النور اذ كان النور الأول لا صورة له سواها
وهى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)